

بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة جمعة / جامع الملك فيصل

١٤٢٤/٩/٥ هـ - ٢٠٠٣/١٠/٣١ م

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونتوب إليه ، من يهد الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا نجاة له ولياً مرشداً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وصفيه وخليفه ، بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حق جهاده صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً ، أما بعد { يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون } { يا أيها الذين اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون } .

إن من نعم الله علينا أن بلغنا شهر رمضان ، شهر الخير والبركات ، شهر العطايا والهبات ، شهر تفتح فيه أبواب الجنان ، وتغلق فيه أبواب النيران ...

أتى رمضان مزرعة العباد لتطهير القلوب من الفساد

فأد حقوقه قولاً وفعلاً وزادك فاتحذه للمعاد

فمن زرع الحبوب وما سقاها تأوه نادماً يوم الحصاد

عباد الله إن كل يوم يمر عليكم من رمضان يكتب الله لكم فيه الصيام هو نعمة من الله متجددة، وكل ليلة تمر عليكم من رمضان يكتب الله لكم فيها القيام هي نعمة عليكم من الله متجدد، فنعم الله عليكم متوالية وآلاؤه متزايدة : { وآتاكم من كل ما سألتموه وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار } .

عباد الله إن النعم تَقَرُّ بشكرها ، وتفر بكفرها ، وما شكرت نعمة الصيام وبلوغ رمضان بمثل الحرص على أداء الفرض على أكمل وجه، وسأقف معكم في هذه الدقائق المعدودة بذكر شيء من فقه الصيام، (فمن يرد الله به خيراً يفقهه في الدين) كما أخبر الصادق المصدوق (صلى الله عليه وسلم) ، فإن الفقه في العبادة سبيل في صوابها، وصوابها شرط في صحتها .

اعلم أيها الصائم ، أيتها الصائمة ، أنه يلزم كلاً منكم النية الخالصة لله سبحانه وتعالى، بأن يكون صومك ابتغاء وجه الله لا يكون مجرد موافقة للناس أو خوفاً من أحد غير الله ، واعلم أن نية الصوم في رمضان لا بد أن تكون من الليل ، لما روى الإمام وأصحاب السنن وصححه ابن خزيمة من حديث حفصة (رضي الله عنها) قال قال النبي (صلى الله عليه وسلم) : ((من لم يجمع الصيام قبل الفجر فلا صيام له)) ومحلها القلب ولا يشرع التلفظ بها .

أيها الصائمون ، شرع لكم قبل صيامكم طعام السحور وهو سنة أمر النبي صلى الله عليه وسلم به فقال: «تَسَحَّرُوا فَإِنْ فِي السَّحُورِ بَرَكَةٌ»، متفق عليه. وفي صحيح مسلم عن عمرو بن العاص رضي الله عنه أَنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: «فَضْلُ مَا بَيْنَ صِيَامِنَا وَصِيَامِ أَهْلِ الْكِتَابِ أَكْلَةُ السَّحْرِ». وَأَتَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى سَحُورِ التَّمْرِ فَقَالَ: «نِعْمَ سَحُورُ الْمُؤْمِنِ التَّمْرُ». وَيَنْبَغِي لِلْمُتَسَحِّرِ أَنْ يَنْوِيَ بِسَحُورِهِ امْتِثَالَ أَمْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالِاقْتِدَاءَ بِفَعْلِهِ، لِيَكُونَ سُحُورُهُ عِبَادَةً، وَأَنْ يَنْوِيَ بِهِ التَّقْوَى عَلَى الصِّيَامِ لِيَكُونَ لَهُ بِهِ أَجْرٌ. وَالسُّنَّةُ تَأْخِيرُ السُّحُورِ مَا لَمْ يَخْشَ طُلُوعَ الْفَجْرِ لِأَنَّهُ فَعَلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَيَحْكُمُ بِطُلُوعِ الْفَجْرِ إِمَّا بِمُشَاهَدَتِهِ فِي الْأَفْقِ أَوْ بِخَبَرٍ مُوثِقٍ بِهِ بِأَذَانٍ أَوْ غَيْرِهِ، فَإِذَا طَلَعَ الْفَجْرُ أَمْسَكَ.

أيها المؤمنون، إذا طلع الفجر فقد لزم الإمساك وبدأ الصوم، ذلك الصوم الذي جعله الله سبحانه وتعالى محققاً للتقوى بقوله : {يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون} ، وأخبر عنه المصطفى (صلى الله عليه وسلم) بقوله : ((مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ)) متفق عليه من حديث أبي هريرة (رضي الله عنه). ولكن أي صيام يحقق تلك الغايات وغيرها ؟ إنه حقيقة الصيام لا شكل الصيام . أخرج البخاري من حديث أبي هريرة (رضي الله عنه) عن النبي (صلى الله عليه وسلم) ((قال من لم يدع قول الزور والعمل به والجهل فليس لله حاجة أن يدع طعامه وشرابه)). وقال جابر رضي الله عنه : إذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولسانك عن الكذب والمحارم، ودع عنك أذى الجار، وليكن عليك وقارٌ وسكينةٌ، ولا يكن يومٌ صومك ويومٌ فطرِكَ سواءً. قال بعض السلف : أهون الصيام ترك الطعام والشراب.

أخي الصائم أعلم أن هناك أموراً تفسد صومك ومنها :

الأول: الجماع ، الثاني: إنزال المنى باختياره. وأمّا الإنزال بالاحتلام أو بالتفكير المجرد عن العمل فلا يُفطر لأنّ الاحتلام بغير اختيار الصائم. الثالث: الأكل أو الشرب. الرابع: ما كان بمعنى الأكل والشرب وهو شيطان: أحدهما: حَقْنُ الدَّمِ في الصائم. الشيء الثاني: الإبر المغذية التي يُكتَفَى بها عن الأكل والشرب فإذا تناولها أفطر لأنها وإن لم تكن أكلاً وشراباً حقيقةً، فإنّها بمعناها، فثبت لها حكمهما. فأما الإبر غير المغذية فإنّها غير مُفطرة سواءً تناولها عن طريق العضلات أو عن طريق العُرُوق حتّى ولو وجد حرارتها في حلقه فإنّها لا تُفطر لأنها ليست أكلاً ولا شرباً ولا بمعناها. الخامس: التقيؤ عمداً لقول النبي صلى الله عليه وسلم: «مَنْ ذَرَعَهُ الْقَيْءُ فَلَيْسَ عَلَيْهِ قِضَاءٌ وَمَنْ اسْتَقَاءَ عَمْدًا فَلَيْقُضْ»، رواه الخمسة إلا النسائي وصححه الحاكم. السادس: خروج دم الحيض والنّفس، لقول النبي صلى الله عليه وسلم في المرأة ((أليس إذا حاضت لم تُصلّ ولم تَصُمْ؟)) فمتى رأت دم الحيض أو النّفس فسد صومها سواءً في أوّل النهار أم في آخره ولو قبل الغروب بلحظة وإنّ أحسّت بانتقال الدّم ولم يَبْرُزْ إلّا بعد الغروب فصومها صحيح.

عباد الله ، إن المفطرات السابقة ما عدا الحيض والنّفس، أمّا لا تكون مفطرة إلا بشرط ثلاثة : هي : الشرط الأول: أن يكون عالماً، فإن كان جاهلاً لم يُفطر، لقوله تعالى في سورة البقرة {رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا} [٢٨٦] فقال الله: قد فعلت. وسواءً كان جاهلاً بالحكم الشرعيّ، مثلاً أن يظنّ أنّ هذا الشيء غير مُفطر فيفعله أو جاهلاً بالحال أي بالوقت، مثلاً أن يظنّ أنّ الفجر لم يطلع فيأكل وهو طالع، أو يظنّ أنّ الشمس قد غربت فيأكل وهي لم تغرب، فلا يُفطر في ذلك كلّ، لما في الصحيحين عن عديّ بن حاتم رضي الله عنه. وفي صحيح البخاريّ من حديث أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: أفطرنا في عهد النبيّ صلى الله عليه وسلم يوم غيم ثم طلعت الشمس، ولم تذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم أمرهم بالقضاء، لأنهم كانوا جاهلين بالوقت ولو أمرهم بالقضاء لنقل، لأنه ممّا توقّر الدّواعي على نقله لأهميته. الشرط الثاني: أن يكون ذاكرةً، فإن كان ناسياً فصيامه صحيح ولا قضاء عليه لما سبق في آية البقرة، ولما رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنّه قال: «من نسي وهو صائم فأكل أو

شَرِبَ فَلْيُسِّمْ صَوْمَهُ فَإِنَّمَا أَطْعَمَهُ اللَّهُ وَسَقَاهُ»، متفق عليه . الشَّرْطُ الثالثُ: أَنْ يَكُونَ مُخْتَارًا، أَيْ مُتَنَوِّلًا لِلْمُقَطَّرِ بِاخْتِيَارِهِ وَإِرَادَتِهِ، فَإِنْ كَانَ مُكْرَهًا فَصِيَامُهُ صَحِيحٌ وَلَا قَضَاءَ عَلَيْهِ لِأَنَّ اللَّهَ سَبَحَانَهُ رَفَعَ الْحُكْمَ عَمَّنْ كَفَرَ مُكْرَهًا وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ عَنْ أَمْتِي الْخَطَأَ وَالنَّسْيَانَ وَمَا اسْتَكْرَهُوا عَلَيْهِ»، رواه ابنُ ماجة والبيهقي وحسنه النَّوَوِيُّ.

ولا يكفي للصائم أن يجتنب المفطرات فحسب ، بل عليه أن يجتنب جميع ما حرَّم الله ورسوله مِنَ الأقوال والأفعالِ البعد عن سائر المحرمات في رمضان وغيره ، وهي في رمضان أكد صيانة للصيام ، فيجتنب الكذب ، ويجتنب العيئة، وهي ذُكْرُكَ أَخَاكَ بما يَكْرَهُ في عَيْتِهِ، {وَلَا يَغْتَبِ بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ} [الحجرات: ١٢]. وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه مَرَّ لَيْلَةً المعراج بقوم لهم أظفارٌ من نحاسٍ يخمشون بها وجوههم وصدورهم فقال: «مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جَبْرِيلُ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ حَوْماً النَّاسِ وَيَقْعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ»، رواه أبو داود.

ويجتنب التَّمِيمَةَ وهي نَقْلُ كَلَامٍ شَخْصٍ فِي شَخْصٍ إِلَيْهِ لِيُفْسَدَ بَيْنَهُمَا، وهي من كبائر الذنوب. قال فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ تَمَّامٌ»، متفق عليه.

عباد الله ، ومن أهم ما يجب على الصائم الحفاظ عليه الصلاة المفروضة، التي هي آكد أركان الإسلام بعد الشهادتين، فتجب مراعاتها بالمحافظة عليها والقيام بأركانها وواجباتها وشروطها، فيؤديها في وقتها مع الجماعة في المساجد، فَإِنَّ ذَلِكَ مِنَ التَّقْوَى الَّتِي مِنْ أَجْلِهَا شُرِعَ الصِّيَامُ وفُرضَ على الأمة، وإضاعة الصلاة مُنافٍ للتَّقْوَى وموجبٌ للعقوبة. قال الله تعالى: {فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَةَ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا الشَّهْوَةِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا} [مریم: ٥٩].

ومما يجدر بالمسلم الحرص عليه كثرة القراءة والذكر والدعاء والصلاة والصدقة. وفي الصحيحين من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل فيدارسه القرآن. فَرَسُوَلُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ يَلْقَاهُ جَبْرِيلُ أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ.

اعلم أخي المسلم أن للناس مع الصيام أحوال مختلفة وهي : / أولاً: الصغير، فالصغير لا يجب عليه الصوم؛ لأنه غير مكلف، ثانياً: المجنون، فالجنون لا يجب عليه الصوم بالإجماع لعدم تكليفه. ثالثاً: العاجز عن الصيام عجزاً مستمراً لا يرجى زواله، كالشيخ الكبير، والمريض مرضاً لا يرجى برؤه، فلا يجب عليه الصيام؛ لأنه غير مستطيع، وعليه أن يطعم عن كل يوم مسكيناً. رابعاً: المريض الذي يرجى زوال مرضه : فيجوز له الفطر إذا كان يشق عليه الصوم ، وعليه القضاء عند زوال المرض، لقول الله تعالى: {فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ} (البقرة: ١٨٤). خامساً: المسافر، فالمسافر يجوز له الفطر بشرط ألا يكون القصد من السفر التحايل على الفطر، وعليه القضاء حينئذٍ، لقول الله تعالى: {فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ} (البقرة: ١٨٤) ، و إذا صام المسافر فصومه صحيح، فقد كان بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يصوم في السفر وبعضهم يفطر، فلا ينكر الصائم على المفطر ولا المفطر على الصائم. قال ابن حجر في الفتح : يرون أن من وجد قوة فصام فذلك حسن ، ومن وجد ضعفاً فأفطر فذلك حسن . سادساً: الحائض والنفساء، فيحرم الصوم عليهما ، ويجب عليهما القضاء بالإجماع . سابعاً:

الحامل والمرضع: وللحامل والمرضع أحوال: الحالة الأولى: أن تفترا خوفاً على نفسيهما، ففي هذه الحالة لا يجب عليهما فدية باتفاق الفقهاء. الحالة الثانية: أن تفترا خوفاً على نفسيهما وولديهما، فيجوز لهما الإفطار، ويجب عليهما القضاء دون الإطعام. الحالة الثالثة: أن تفترا خوفاً على ولديهما فقط، ففيه القضاء والإطعام خلاف بين العلماء.

أيها المؤمنون إذا غربت الشمس فقد حل للصائم ما كان حرم عليه به، ويسن له تعجيل الفطر ابتغاء السنة، كما ورد في الحديث المتفق عليه من حديث سهل بن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر)). وقال صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل: «إن أحب عبادي إليّ أعجلهم فطراً» رواه أحمد والترمذي. والسنة أن يفطر على رطب، فإن عديم فتمر، فإن عديم فماء، لقول أنس رضي الله عنه: «كان النبي صلى الله عليه وسلم يفطر قبل أن يُصلي على رطبات، فإن لم تكن رطبات فتمرات، فإن لم تكن تمرات حسا حسوات من ماء»، رواه أحمد وأبو داود والترمذي. وإذا افطر عند أحد دعا له لما روى ابن ماجة بسند صحيح عن عبد الله بن الزبير قال أفطر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عند سعد بن معاذ (رضي الله عنه) فقال: ((أفطر عندكم الصائمون وأكل طعامكم الأبرار وصلت عليكم الملائكة)). ولا يغفل عن الدعاء لما ورد في سنن ابن ماجة بسند صحيح عن عبد الله بن عمرو بن العاص (رضي الله عنه) يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إن للصائم عند فطره دعوة ما ترد)). وفي سنن الترمذي من حديث أبي هريرة (رضي الله عنه) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: ((ثلاثة لا ترد دعوتهم الإمام العادل والصائم حين يفطر)). ومن ابتغى المزيد من الأجر فعليه بتفطير الصائمين، ففي سنن الترمذي بسند صحيح: ((من فطر صائماً كان له مثل أجره غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شيئاً)). أقول هذا القول وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم....

الخطبة الثانية

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونتوب إليه ، من يهد الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا نجاد له ولياً مرشداً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وصفيه وخليفه ، بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حق جهاده صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد اعلموا عباد الله أنه يسن لكم قيام ليل رمضان ، ورد في صحيح البخاري من حديث أبي هريرة (رضي الله عنه) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: ((من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه)). ومن صلى مع الجماعة فليحرص ألا ينصرف قبل الإمام ليتحقق له بذلك قيام ليلة ، لقوله (صلى الله عليه وسلم) : ((من قام مع الإمام حتى ينصرف كتب له قيام ليلة)). فقد كان السلف (رضي الله عنهم) يحرصون أشد الحرص على القيام ، فهذا كان أبو هريرة هو وامراته وخادمه يعتقبون الليل أثلاثاً ، يصلي هذا ثم يوقظ هذا ، ويصلي هذا ثم يوقظ هذا . فيكون منزله في الليل كله لا يخلو من قائم يصلي . رزقنا الله الاقتداء بنينا وبهم والسير على نهجهم ونهجهم .

عباد الله إن الله أمركم بأمر بدأ فيه بنفسه ، وثنى فيه بملائكته،

اللهم أعز الإسلام والمسلمين وأذل الشرك والمشركين ، ودمر أعداء الدين ، اللهم اغفر لموتى المسلمين الذين شهدوا لك بالوحدانية ولنبيك بالرسالة ، اللهم اغفر لم وارحمهم ، وأكرم نزلهم ووسع مدخلهم ، اللهم ارحمنا إذا صرنا إلى ما صاروا إليه ، اللهم ارحمنا إذا علانا التراب وفارقنا الأهل والأحباب ، اللهم اغفر لنا ما قدمنا وما أخرنا ، وما أسررنا وما أعلنا ، وما أنت أعلم به به منها ، أنت المقدم وأنت المؤخر ، وأنت على كل شيء قدير .

عباد الله ، {إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون} فاذكروا الله يذكركم واشكروه على نعمه يزدكم ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون .

ومن حِكْمِ الصيام أَنَّهُ عِبَادَةٌ لِلَّهِ تَعَالَى يَتَقَرَّبُ الْعَبْدُ فِيهَا إِلَى رَبِّهِ بِتَرْكِ مَحْبُوبَاتِهِ وَمُشْتَهَاتِهِ مِنْ طَعَامٍ وَشَرَابٍ وَنِكَاحٍ، فَيُظْهِرُ بِذَلِكَ صِدْقَ إِيمَانِهِ وَكَمَالَ عِبُودِيَّتِهِ لِلَّهِ وَقُوَّةَ مُحِبَّتِهِ لَهُ وَرَجَائِهِ مَا عِنْدَهُ. فَإِنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَتْرُكُ مَحْبُوبًا لَهُ إِلَّا لِمَا هُوَ أَغْظَمُ عِنْدَهُ مِنْهُ. وَلَمَّا عَلِمَ الْمُؤْمِنُ أَنَّ رِضَا اللَّهِ فِي الصَّيَامِ بِتَرْكِ شَهَوَاتِهِ الْمَجْبُولِ عَلَى مُحِبَّتِهَا قَدَّمَ رِضَا مَوْلَاهُ عَلَى هَوَا فَتَرَكَهَا أَشَدَّ مَا يَكُونُ شَوْقًا إِلَيْهَا لِأَنَّ لَذَنَّهُ وَرَاحَةَ نَفْسِهِ فِي تَرْكِ ذَلِكَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَلِذَلِكَ كَانَ كَثِيرٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَوْ ضُرِبَ أَوْ حُبِسَ عَلَى أَنْ يُفْطِرَ يَوْمًا مِنْ رَمَضَانَ بِدُونِ عُذْرٍ لَمْ يُفْطِرْ. وَهَذِهِ الْحِكْمَةُ مِنْ أَبْلَغِ حِكْمِ الصَّيَامِ وَأَعْظَمِهَا.

وَمِنْ حِكْمِ الصَّيَامِ أَنَّهُ سَبَبٌ لِلتَّقْوَى كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: {يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [البقرة: ١٨٣]. فَإِنَّ الصَّائِمَ مَأْمُورٌ بِفِعْلِ الطَّاعَاتِ وَاجْتِنَابِ الْمَعَاصِي كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ وَالْجَهْلَ فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشِرَابَهُ»، رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. وَإِذَا كَانَ الصَّائِمُ مُتَلَبِّسًا بِالصَّيَامِ فَإِنَّهُ كُلَّمَا هَمَّ بِمَعْصِيَةٍ تَذَكَّرَ أَنَّهُ صَائِمٌ فَامْتَنَعَ عَنْهَا. وَلِهَذَا أَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصَّائِمَ أَنْ يَقُولَ لِمَنْ سَأَلَهُ أَوْ شَاتَمَهُ: إِنِّي أَمْرُؤُ صَائِمٌ، تَنْبِيهًا لَهُ عَلَى أَنْ الصَّائِمَ مَأْمُورٌ بِالْإِمْسَاكِ عَنِ السَّبِّ وَالشَّتْمِ، وَتَذَكِيرًا لِنَفْسِهِ بِأَنَّهُ مُتَلَبِّسٌ بِالصَّيَامِ فَيَمْتَنِعُ عَنِ الْمُقَابَلَةِ بِالسَّبِّ وَالشَّتْمِ.

وَمِنْ حِكْمِ الصَّيَامِ أَنَّ الْقَلْبَ يَتَخَلَّى لِلْفِكْرِ وَالذِّكْرِ، لِأَنَّ تَنَاوُلَ الشَّهَوَاتِ يَسْتَوْجِبُ الْعُقْلَةَ وَرَمَّا يُقَسِّى الْقَلْبَ وَيُعْمَى عَنِ الْحَقِّ، وَلِذَلِكَ أَرْشَدَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى التَّخْفِيفِ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مَلَأَ ابْنُ آدَمَ وَعَاءٌ شَرًّا مِنْ بَطْنٍ، بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ لُقِيْمَاتٌ يُقْمَنُ صُلْبُهُ، فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ فَثُلُثٌ لَطْعَامِهِ وَثُلُثٌ لَشْرَابِهِ وَثُلُثٌ لِنَفْسِهِ» رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالنَّسَائِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ.

وَمِنْ حِكْمِ الصَّيَامِ أَنَّ الْغِنَى يَعْرِفُ بِهِ قَدْرَ نِعْمَةِ اللَّهِ عَلَيْهِ بِالْغِنَى حَيْثُ أَنْعَمَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ بِالطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَالنِّكَاحِ وَقَدْ حُرِّمَهَا كَثِيرٌ مِنَ الْخَلْقِ فَيَحْمَدُ اللَّهَ عَلَى هَذِهِ النِّعْمَةِ وَيَشْكُرُهُ عَلَى هَذَا التَّيْسِيرِ، وَيَذْكُرُ بِذَلِكَ أَخَاهُ الْفَقِيرَ الَّذِي رَمَّا يَبِيتُ طَاوِيًا جَائِعًا فَيَجُودُ عَلَيْهِ بِالصَّدَقَةِ يَكْسُو بِهَا عَوْرَتَهُ وَيُسَدُّ بِهَا جُوعَتَهُ. وَلِذَلِكَ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجْوَدَ النَّاسِ وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جَبْرِيلُ فَيُذَارِسُهُ الْقُرْآنَ.

وَمِنْ حِكْمِ الصَّيَامِ التَّمَرُّنُ عَلَى ضَبْطِ النَّفْسِ، وَالسَّيْطَرَةُ عَلَيْهَا، وَالْقُوَّةُ عَلَى الْإِمْسَاكِ بِرِمَامِهَا حَتَّى يَتِمَكَّنَ مِنَ التَّحَكُّمِ فِيهَا وَيَقْوِدَهَا إِلَى مَا فِيهِ خَيْرُهَا وَسَعَادَتُهَا، فَإِنَّ النَّفْسَ أَقَارَةً بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي، فَإِذَا أَطْلَقَ الْمَرْءُ لِنَفْسِهِ عَنَانَهَا أَوْقَعَتْهُ فِي الْمِهَالِكِ وَإِذَا مَلَكَ أَمْرُهَا وَسَيَّطَرَ عَلَيْهَا تَمَكَّنَ مِنْ قِيَادَتِهَا إِلَى أَعْلَى الْمَرَاتِبِ وَأَسْفَى الْمَطَالِبِ.

وَمِنْ حِكْمِ الصَّيَامِ كَسْرُ النَّفْسِ وَالْحُدُّ مِنْ كِبَرِيائِهَا حَتَّى تَخْضَعَ لِلْحَقِّ وَتَلِيَّنَ لِلْخَلْقِ، فَإِنَّ الشَّبَعَ وَالرَّيَّ وَمُبَاشَرَةَ النِّسَاءِ يَحْمِلُ كُلُّ مَنْهَا عَلَى الْأَشْرِ وَالْبَطْرِ وَالْعُلُوِّ وَالتَّكْبُرِ عَلَى الْخَلْقِ وَعَنِ الْحَقِّ. وَذَلِكَ أَنَّ النَّفْسَ عِنْدَ احتياجِها لهذه الأمورِ تشغُلُ بِتَحْصِيلِهَا فَإِذَا تَمَكَّنَتْ مِنْهَا رَأَتْ أَنَّهَا ظَفِرَتْ بِمَطْلُوبِهَا فَيَحْصِلُ لَهَا مِنَ الْفَرَحِ الْمَذْمُومِ وَالْبَطْرِ مَا يَكُونُ سَبَبًا لِهَلَاكِهَا، وَالْمَعْصُومُ مَنْ عَصَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

ومن حَكَمِ الصيام أنَّ مجاريَ الدَّمِ تضيقُ بسببِ الجوعِ والعطشِ فتضيقُ مجاريُ الشيطانِ من البدنِ فإنَّ الشيطانَ يَجْري من ابنِ آدَمَ مجرىَ الدمِ، كما ثبت ذلك في الصحيحين عن رسولِ الله صلى الله عليه وسلّم، فتسكُنُ بالصيامِ وسَاوِسُ الشيطانِ، وتنكسرُ سَوْرَةُ الشهوةِ والغضبِ، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلّم: «يا مَعْشَرَ الشَّبابِ مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ»، متفق عليه. فجعل الصوم وجاء لشهوة النكاح وكسراً لحدتها.

ومن حَكَمِ الصيام ما يترتَّبُ عليه من الفَوَائِدِ الصَّحِّيَّةِ الَّتِي تحصل بتقليلِ الطعامِ وإراحةِ جهازِ الهضمِ لمدةٍ معينةٍ وترشُّبِ بعضِ الرطوباتِ والفضلاتِ الصَّارَةِ بالجسمِ وغير ذلك. فما أعظمَ حكمةَ الله وأبلغَهَا، وما أنفعَ شرائعَهُ للخلقِ وأصلَحَهَا.